بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المكرمين

إعداد الأستاذ الدكتور / عبدالله النافع

طلبت مني رئيسة المؤتمر ورئيسة مجلس إدارة الجمعية الأستاذة الدكتورة/ آمال صادق أن أتشرف بإلقاء كلمة المكرمين ، وقد أحسنت الظن في عندما رأت لحيتي البيضاء وتجاعيد الزمن على وجهي فحسبتني أكبر المكرمين سنا وأصغرهم حجما فشرفتني بهذا التكليف.

ولذلك فإني أستأذن زملائي المكرمين بأن أتقدم نيابة عنهم برفع آسمى آيات الشكر والامتنان للجمعية المصرية لعلم النفس على هذا التكريم والتقدير فهذا هو وفاء العلماء وبَرُ الزملاء ولا غرابة في ذلك فعلماء وأساتذة مصر هم رواد العلم والتعليم في العالم العربي في كافة المجالات ومن بينهم علم النفس.

وسأضرب مثلاً لذلك بنفسي، فقد دخلت الكتاب وأنا طفل صغير في حجرة داخل المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة ، وكان شيخنا الذي علمنا القرآن والقراءة والكتابة شيخ مصري من الأزهر وعندما انتقلت إلى المدرسة كان أغلب المعلمين مصريين فتعلمت على أيديهم ولما أكملت المرحلة الثانوية أتيت إلى هنا مبتعثا للدراسة في كلية دار العلوم جامعة القاهرة، ثم بعد ذلك في الدبلوم التربوي في هذه الجامعة التي نحن في رحابها جامعة عين شمس درست علم النفس التربوي على أيدي الدكتور / أحمد زكي صالح والدكتور / سيد غنيم رحمهما الله والدكتور / رشدي منصور وغيرهم، ثم درست بعد ذلك في لبنان على يد الأستاذ الدكتور / عبدالعزيز القوصي أستاذ أساتذة علم النفس رحمه الله الذي شجعني على إكمال دراستي العليا في مجال علم النفس التربوي.

وبعد إكمالي الدراسة في الولايات المتحدة والعودة إلى جامعة الملك سعود كلفتني الجامعة باختيار أساتذة لإنشاء قسم علم النفس بكلية التربية بالجامعة فأتيت إلى هنا واخترت عددا من أميز أساتذة علم النفس من بينهم الدكتور / سيد خيري والدكتور/ أحمد عبدالعزيز سلامة والدكتور / محمود الزيادي رحمهم الله والدكتور / صلاح حوطر من الله عليه بالصحة والعافية وأسسوا القسم الذي تخرج منه أجيال متعددة أكمل عدد منهم الدراسة العليا وأصبحوا أساتذة في نفس القسم.

بعد أن قلت ما قلت اعترافا بالحق وردّ جزء من الفضل والجميل لأهله اسمحوا ليه أن أعرض على هذا الجمع الكبير لأساتذة علم النفس القضايا التي أرى أنها تمثل التحديات التي تواجهنا وقد أجملتها في ثلاث قضايا.

القضية الأولى :

ما أسميها الإنعتاق ، فالتعليم يبدأ بالإتباع والتقليد كما يتعلم الطفل الصغير ولكن غايته أن ينتهي إلى الاستقلال والاجتهاد والإبداع من الأتباع إلى الابتداع أو الخروج من حجر الصف كما يسميه الدكتور / مالك البدي ، فالإبداع في العلم سنه حسنه بل هو فريضة واجبة والإبداع هو قمة العلم وهدفه، وأعتقد أنه حان الوقت لكي يكون لنا مساهمة في تقدم علم النفس وأن تكون لنا أفكار ونظريات وإضافات جديدة فهذا العصر هو ما يسمى بعصر العولمة ومجتمع المعرفة والإبداع، ومن لا يدخل فيه كشريك ومساهم فسوف يعيش على فتات الآخرين.

الإبداع يحتاج إلى بيئة مبدعة وإلى عمل مؤسسي جماعي مستمر فالفكرة المبدعة والجديدة تنبع من ذهن فرد واحد ولكن تطويرها وإنتاجها يحتاج إلى أن يكون لهذا الفرد مساعدون ومؤيدون في تجريب الفكرة وإلى معامل وتجهيزات تساعد على تنمية الفكرة وإيصالها إلى مرحلة ونحن نعلم النضوج إلى أن نرقى لنظرية أو مدرسة جديدة أو تطوير أو إضافة جديدة في العلم من

دراستنا لتطوير نظريات علم النفس في الغرب كيف بدأت من فكرة بسيطة جديدة ومن عالم واحد ثم تطورت بالتجريب والتطبيق من علماء آخرين إلى أن اكتملت في شكل نظرية أو مدرسة مستقلة لها مسلماتها وفرضياتها وأكثر مثال على ذلك النظرية السلوكية التي تعرفون تفاصيل تطورها وانحسارها.

اعتقد أننا بحاجة إلى الثقة والتأكيد لأنفسنا بأننا وصلنا مرحلة النضج والاستقلال فكفانا تبعية وتقليد. أنا لا أدعو إلى أن يكون لنا علم نفس مستقل كما يدعو البعض إلى علم نفس إسلامي أو علم نفس عربي فهذه دعوات عاطفية وانفعالية وفيها قدر كبير من السذاجة والسطحية فالعلم إنساني الوجهة لا يعرف الحدود الأيدلوجية والقومية وهو كنهر جار ترفده الجداول من كل جانب.

وأعتقد أن في ثوابتنا ومسلماتنا ما نستطيع أن ننطلق منه للإتيان بأفكار ومفاهيم جديدة في علم النفس. وهناك بعض المحاولات القليلة الجيدة التي أنجزت بشكل فردي وخير مثال على ذلك هو محاولة الدكتور / فؤاد أبوحطب رحمه الله في بحث غير يقع في أكثر من ١٥٠ صفحة يعتبر نموذجا لو أن الله مد في عمر الدكتور / أبو حطب ربما تمكن من إكماله ونشره.

القضية الثانية : البحوث من التنظير إلى التطبيق :

أغلب البحوث التي نقوم بها هي بحوث فردية أما رسائل ماجستير ودكتوراه أو بحوث للترقيات أو بحوث للمشاركة في المؤتمرات العلمية وقليلة البحوث التطبيقية التي تتصدى لظواهر أو مشاكل اجتماعية وتحظى بدعم مالي من المؤسسات البحثية أو الجامعات وتقوم بها فرق بحثية ومساعدي الباحثين وتتوفر لها المختبرات والتجهيزات التي تتطلبها إجراءات البحث وتكون ذات فترة زمنية طويلة.

هذه البحوث هي التي تربط العلم بالعمل فهناك حكمة تقول علم لا يؤدي إلى عمل فهو علم أجوف وعمل لا يعتمد على علم فهو عمل أخرق. وأعتقد

أن علم النفس هو أقرب العلوم إلى مشاكل الأفراد والمجتمع وتطبيقاته تنتشر في كافة المجالات التعليمية والاجتماعية والصحية والإدارية والعسكرية.

وهناك توجهات جديدة في الجامعات في بعض البلاد العربية وخاصة في السعودية ومصر لتطبيق أنظمة الجودة ومعايير الاعتماد الأكاديمي لتحظى الجامعات بالاعتراف العالمي ، ومن أهم هذه المعايير جودة البحوث العلمية وربطها بخطط التنمية وحل مشكلات المجتمع فإذا كانت هذه الجامعات جادة في ذلك فإن هناك فرصة لتوفير بيئة وانطلاقه للبحوث التطبيقية ولكن المبادرات ينبغي أن تأتي من أعضاء هيئات التدريس فالجامعة هي أعضاء هيئة التدريس.

وهناك نماذج وأمثلة لبحوث تطبيقية كونت الأساس العلمي والعملي وأحدثت نقله نوعية في حل المشاكل والظواهر التي تعرضت لها مثلا عندنا في المملكة العربية السعودية تم تطبيق نتائج البحث الذي تم إعداده لدينا في قسم علم النفس عن الكشف عن الموهوبين ورعايتهم في إنشاء البرنامج الوطني لرعاية الموهوبين في وزارة التربية والتعليم وتأسيس مؤسسة الملك عبدالعزيز ورجاله لرعاية الموهبة والإبداع حيث وفر البحث مقاييس مقننة بمعايير وطنية في الذكاء والقدرات العقلية والإبداع للتعرف على الموهوبين وبرامج الرعاية في العلوم والرياضيات وإشراك المؤسسات الكبرى الحكومية والخاصة في الاستثمار في تنمية الابتكارات والاختراعات العلمية بحيث أصبحت المملكة الأن أكثر الدول العربية نموا في الحصول على براءات الاختراع وخاصة بين الشباب وكذلك البحث الوطني في السلامة المرورية. وأعتقد أن هناك أمثلة أخرى مشابهة.

القضية الثالثة : هي المساهمة في التدريب والتطوير وخدمة المجتمع :

فالتدريب هو امتداد واستكمال للتعليم وتحويل التعليم النظري إلى مهارات سلوكية في العمل والحياة، وأكبر برامج التدريب في التعليم والإدارة وتطوير

الذات تستمد معلوماتها الأساسية والنظرية من علم النفس فالبرمجة اللغوية العصبية وبرامج تعليم وتنمية مهارات التفكير وتطوير أداء المعلمين وبرامج التدريب الإدارية هي تطبيقات عملية مستمدة من مفاهيم نفسية ولكن للأسف أكثر من يقومون بهذه البرامج ليست لديهم المعلومات النظرية الكافية في علم النفس ويأتون من تخصصات أخرى وذلك بسبب انفصام علم النفس عندنا عن واقع الحياة وعدم مساهمة أغلب أساتذة علم النفس في تطوير البرامج التدريبية والنزول بها إلى الميدان الترفع بالجانب النظري عن التطبيق الميداني وهذا أوجد انفصام بين النظرية والتطبيق.

فمن تجربتي خلال العشر سنوات الأخيرة في التدريب أدركت مدى الحاجة الشديدة إلى مساهمة علم النفس بشكل مباشر في إنتاج برامج تدريبية يتولى التدريب فيها متخصصون في علم النفس في كافة أفرعه المختلفة على أسس علمية صحيحة.

هذه القضايا الثلاث تمثل تحديات رئيسية تواجهنا لابد من التصدي لها إذا أردنا لعلم النفس في بلادنا العربية أن يكون له دور في تقدم المعرفة الإنسانية والمساهمة في تطويرها والإضافة إليها وكذلك المساهمة في حل مشكلات المجتمع بطريقة علمية وعملية.

ختاما أكرر الشكر والتقدير والامتنان لجمعية علم النفس المصرية ممثلة في مجلس إدارتها ورئيسة مجلس الإدارة الأستاذة الدكتورة / آمال صادق على تشريفنا بهذا التكريم الذي نعتبره وساما علمياً ورفيعا نعتز به ويدفعنا إلى مزيد من الاجتهاد والطموح والإنجاز بإذن الله.

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته